

# كيف شوهت الجماعات الإسلامية نظرة أوروبا للإسلام

## أدلجة الخطاب الديني يكرس الانفصالية المتطرفة



### التطرف أيديولوجيا تديرها التنظيمات الإسلامية

المسلمة، حالت، من خلال خطابها المؤدلج للدين الإسلامي، دون اندماجهم في المجتمعات الأوروبية التي يقيمون فيها، حيث حرّضتهم، عبر مقولات دينية تحثهم على الاستعلاء على المخالف لهم دينيا، الأمر الذي أدى بهذه الجاليات للعيش بمعزل عن المجتمعات التي تقم فيها وبالتالي إحساسها بالاعتراق عن قيم العلمانية الأوروبية.

وتعد قضايا الاندماج والإرهاب الإسلامي وتنامي رهاب الإسلام ونفوذ حركات الإسلام السياسي والهجرة من الشرق الأوسط من أبرز المعضلات التي تواجه أوروبا اليوم تحديا إثر موجات اللجوء الأكبر منذ الحرب العالمية الثانية تجاه القارة العجوز، والتفجيرات الإرهابية التي طالت أكثر من دولة.

ورغم ذلك يبقى تاريخ المسلمين والإسلام في أوروبا الغربية أكثر تشابكا وأقدم مما يعتقد الكثيرون، فيما تعمل تنظيمات الإسلام السياسي وأذرعها على إجهاد مساعي رسم مستقبل يظنر إلى المسلمين فيه كجزء لا يتجزأ من الحياة العامة الأوروبية، بدلا من اعتبارهم غرباء أو مصدر تهديدات أديبا.

زوال الصفة الإقليمية يرتبط بانتقال الأشخاص فقط، بقدر ما يات يرتبط بانتقال الأفكار والمواد الثقافية، حيث أثبت قدرة التيارات المتطرفة على استقطاب جزء من الشباب وشحنهم بأيديولوجيا الكراهية والعنف.

وأوجز الباحث الباكستاني شيما خان بعد اعتداءات 11 سبتمبر 2001 بنيويورك وواشنطن، ذلك عندما حذر من مغبة "اختطاف الإسلام"، إذ تم الانتقال من مرحلة الحركات الإسلامية (الدعوية) والسياسية (إلى ركوب الحركات المتطرفة موجة الاختطاف بترسانة أيديولوجية عنيفة أغرقت بقاعا غير قليلة من عالمي الإسلام والغرب في غياهب التطرف والتطرف العنيف.

ولا ترتبط التحديات التي تعترض المسلمين الأوروبيين بجماعات الإسلام السياسي فحسب، فثمة من الأئمة في أوروبا من يتبنون خطابا متطرفا تجاه القيم الغربية، لاسيما العلمانية، ولديهم تأثير على شرائح مسلمة واسعة، ما ساهم في إحداث قطيعة نفسية واجتماعية مع المحيط الأوروبي.

وحتى تضمن الجماعة الإسلامية السيطرة على توجهات أفراد الجاليات

ويتابع "الإسلام لا يعني الإسلام السياسي، بل إن الإسلام هو الإيمان، والإسلام السياسي هو أيديولوجيا متطرفة وعنيفة أحيانا وغير تاريخية تسعى إلى كسب شرعيتها عبر الإسلام وتركز جهود التجنيد التي تقوم بها على المسلمين".

### تحديات

يرى باحثون أنّ أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في أوروبا تتمثل في إشكالية تربية الشباب المسلم والحفاظ على هويته المتعددة الأوجه، من دون إغفال المسارات التي تجذب الشباب نحو التطرف والانغلاق أو نحو الانحراف والضياح ورد الاعتبار للتأطير العائلي.

ويواجه المسلمون في أوروبا تحديات كثيرة، خاصة في الزمن الراهن الذي اشتبكت فيه عناصر دينية وسياسية بشكل غير مسبق، فأصبح الإسلام ورقة سياسية توظفها أطراف تزعم تمثيها، وأخرى تدعي أنها تنوب عن المجتمعات الأوروبية وحمايتها منه.

ودفعت العولمة بجميع مكونات هذه الظاهرة إلى أقصى مدى، إذ لم يعد

الاتحاد السوفييتي، ما تحول إلى مقاومة ما سمي في أدبيات الجهاد بـ"العدو البعيد"، أي المجتمع الغربي نفسه.

وساهمت هذه الأفكار والأجندات التي تعنتها الجماعات الإسلامية بمختلف تفرعاتها في تشويه صورة المسلمين في الغرب حتى باتت كل عملية إرهابية تلتحف بعباءة دينية تمثل المسلمين جميعا وهو ما يجب على بعض الساسة الأوروبيين الانتباه له ومكافحة الأطراف التي تروج لمثل هذه

يقول سونر جاغاباتي، مدير برنامج الأبحاث التركية في معهد واشنطن إن مهاجمة الإسلام، ولا الإسلام السياسي، أمر خطير، فهي تغذي فقط فكرة "صراع الحضارات" التي تصادي بها جماعات مثل تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية اللذين يستغلان مثل هذه الانقسامات.

ويضيف جاغاباتي "من خلال وصفنا لجميع المسلمين كإسلاميين، فإننا نمسح فقط مصداقية لنظرتهم الخاصة للعالم من خلال الإحصاء بان الإسلاميين هم الممثلون الوحيدون للإسلام".

سأهت تنظيمات الإسلام السياسي في أوروبا على مدى أكثر من أربعة عقود في تشويه نظرة الأوروبيين إلى الإسلام من دين يقدر في جوهره قيم التسامح والتعايش إلى عقيدة يقترن ذكر منتسبها بالتطرف والإرهاب لدى طيف واسع من المواطنين الأوروبيين كما بعض السياسيين. وعلى الرغم من أن التقاء أوروبا مع المسلمين ليس حديثا فإن العلاقة بين الغرب والإسلام لم تكن كما هي عليه اليوم، وقد لا تبقى على وضعها الحالي في المستقبل.

برلين - مثلت أحداث 11 سبتمبر في الولايات المتحدة منعطف في علاقة الإسلام بالغرب وشهدت على إثرها أوروبا تحديدا تغيرا لافتا لعلاقتها بالمسلمين وانعكس ذلك على مستوى التشريعات والقوانين بدرجة أولى مع تقادم العمليات الإرهابية التي تعرضت لها على الرغم من أن أولئك "المسلمين" لا يمثلون الإسلام في شيء وواقعهم تختلف بين سياسية وأيديولوجية.

ويبدو المشهد غريبا في ألمانيا اليوم، أين يدعو حزب البديل من أجل ألمانيا اليميني المتطرف إلى فرض حظر على النقاب والمادون، ويرى أكثر من نصف الألمان الإسلام تهديدا. ولكن، في فترة ما بين الحربين العالميتين، تفاعرت برلين بطبقة مثقفة من المسلمين ولم تقتصر على المهاجرين والطلاب من جنوب آسيا والشرق الأوسط، بل شملت الألمان الذين اعتنقوا هذه الديانة، حينها كان الإسلام يمثل شكلا من أشكال الثقافة الروحية وكان الأمر يشبه انبهار كاليفورنيا بالبوذية في السبعينات، لكن ذلك تغير اليوم.

سونا جاغاباتي  
الإسلام هو الإيمان  
والإسلام السياسي هو  
أيديولوجية متطرفة

ويهدف ذلك إلى البحث عن الأسباب والعوامل الداخلية التي أدت إلى هذا التغيير الدراماتيكي في نظرة ألمانيا وأوروبا عامة للإسلام والمسلمين داخل أراضيها، فبعد أن مثلوا شريكا مجتمعا لا غنى عنه تحولوا إلى عبء على تلك الأنظمة.

### تنظيمات الإسلام السياسي

تشمل المظاهر الحالية للإسلام في أوروبا مجموعة متنوعة من الحركات الإسلامية، مثل الإخوان المسلمين والسلفيين. وعلى الرغم من أن هذه الجماعات تستخدم تكتيكات مختلفة، إلا أن ما يجمعها في الأساس هو أيديولوجيا غير ليبرالية مشتركة لا تحترم القيم العالمية ولا تلتزمها. وأسهمت تصورات كثيرة، معظمها تاريخي وعقائدي وأخرى سياسية في تعقيد صورة الإسلام في أوروبا،

# ألمانيا تعزز مناقشة وثيقة إستراتيجية لمكافحة الإرهاب

وسط فيينا، قبل أن يلقي حقه برصاص الشرطة.

وكان المهاجم قد حصل على إطلاق سراح مشروط من حكم بالسجن صدر ضده عقب محاولته الانضمام إلى متطرفين من تنظيم داعش في سوريا.

### سياسيون يدعون إلى وقف تعاون الدولة مع منظمات الإسلام السياسي وتشكيل لجنة متخصصة لتعقب تحركات منتسبيها

وهزت فرنسا عمليات قتل ذات دوافع إسلامية خلال الشهر الماضي، بما في ذلك هجوم طعن داخل كنيسة بمدينة نيس قتل فيه ثلاثة أشخاص، وقطع رأس أحد المدرسين في إحدى ضواحي باريس عقب عرضه رسوما كاريكاتورية مثيرة للجدل للنبي محمد خلال درس عن حرية تعبير.

كما يتعامل المحققون الألمان مع حادث طعن وقع في مدينة دريسدن شرقي البلاد في 4 أكتوبر الماضي، والذي أودى بحياة رجل، على أنه هجوم إسلامي متطرف.

مع فرنسا والنمسا نفس القيم وتتشارك معها نفس التهديد.

وكتب الموقعون على بيان نشرته صحيفة "فيلت" الألمانية "إن الإسلام السياسي يتجذر بشكل متزايد في جاليات إسلامية أوروبية".

وجاء في البيان أنه على الرغم من عدم وجود "أحوال فرنسية" في ألمانيا حتى الآن، ظهرت مشاكل مماثلة هنا أيضا، وأضاف البيان "هناك مجتمعات مسلمة تعيش منفصلة في مدننا أيضا، حيث يتبنين الشباب بحماس التطرف الإسلامي. التحريض والاعتداءات المعادية للسامية لا يأتیان فقط من المتطرفين اليمينيين، ولكن أيضا من دوائر إسلاموية".

وأكد الموقعون على البيان ضرورة تحديد مشاكل مجتمع المهاجرين الوافدين ومعالجتها.

وعلى وجه التحديد، طالب الموقعون بإجراء دراسات حول الإسلام السياسي، لاسيما في المدارس، إلى جانب تأسيس مركز توثيق ووقف تعاون الدولة والمؤسسات السياسية مع منظمات الإسلام السياسي وتشكيل مجموعة خبراء مختصة بهذا الشأن في وزارة الداخلية الألمانية.

وفي 2 نوفمبر الجاري، قتل رجل أربعة أشخاص في هجوم إرهابي في

وحصة الرياضة تندرج ضمن إلزامية التعليم، وإذا تم انتهاكها يجب أن يتوقع الإساءة عواقب ذلك. يجب أن يتسنى للأباء الثقة في أن المؤسسات التعليمية تتساند، لن يسيّر الأمر سوى على هذا النحو".

وأكدت أن الأمر ذاته يسري بالشسبة لخصه التاريخ، لافتة إلى أن كثيرا من مدرسي التاريخ في برلين يعربون عن استيائهم من الضغط الناتج عن تلاميذ مسلمين، عندما يتم تناول حركة اليهود في "هولوكوست" في الحصة المدرسية.

ودعا 16 عالما وممثلا للمجتمع المدني وسياسيا في التحالف المسيحي، المنتقمة إليه المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، إلى اتخاذ إجراءات أكثر حسما ضد الإسلام السياسي في ألمانيا التي تتقاسم

ودعت الوزيرة الألمانية في الوقت ذاته لتطبيق إلزامية التعليم وانتقدت أنه لا يزال ينجح كثير من الآباء المسلمين في إبعاد بناتهم عن دروس السباحة، وقالت "السباحة هي حصة رياضية..".



وبحسب الوثيقة، يعول الحزب البافاري على "نظام رقابة واسع النطاق لمن يمثلون خطرا على الأمن وكذلك على توسيع نطاق المراكز الأوروبية لمكافحة الإرهاب وركز وضع بيان أوروبي شامل مناهض للإرهاب".

وتعزز المجموعة البرلمانية للحزب البافاري أيضا توسيع نطاق صلاحيات التحقيق الخاصة بالأجهزة الأمنية، من بينها الهيئة الاتحادية لمكافحة الدستور (الاستخبارات الداخلية بألمانيا).

وأوضحت المجموعة أنه "يجب أن تمتلك هذه الهيئة إمكانية مراقبة مصادر الاتصالات كي يتسنى لها فك تشفير رسائل المسنجر وتحديد هوية شبكات إرهابية بشكل سريع وخال من الثغرات".

وكانت وزيرة شؤون الأسرة الألمانية فرانتسيسكا جيفاي قد دعت لاتخاذ إجراء صارم في مكافحة التطرف الإسلامي.

وقالت جيفاي "بالنظر إلى الهجمات الإرهابية الأخيرة التي شهدتها أوروبا يتعين علينا تنفيذ قيما وقواعدا وقوانيننا بشكل حاسم والدفاع عنها. فمن يهاجمها ويدهسها من خلال هجمات قاتلة، يؤثر على حقه في البقاء".

برلين - وضعت الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها كل من فرنسا والنمسا مؤخرا ألمانيا أمام تحدي بلورة إستراتيجية أشد صرامة في مواجهة التطرف الإسلامي، وذلك عبر تعزيز ترسانة تشريعاتها القانونية وبحث تعزيز أدوات العمل الأوروبي المشترك.

ويعتزم تكتل برلماني لحزب شريك بالائتلاف الحاكم في ألمانيا عرض برنامج مكون من سبع نقاط بوصفه وثيقة إستراتيجية لمكافحة الإرهاب.

وقال ألكسندر دوبرينت رئيس المجموعة البرلمانية للحزب المسيحي الاجتماعي بولاية بافاريا الشريك بالائتلاف الحاكم "الإرهاب الإسلامي موجود هنا من جديد بكامل قوته، بجودة وحشية جديدة في قلب أوروبا".

وأضاف السياسي الألماني البارز أن الإرهاب الإسلامي يعد إعلانا للحرب على المجتمع، وشدد على ضرورة "الرد عليه بكل وسائل دولة القانون".

وجاء في الوثيقة التي يعتزم البرلمان الألماني مناقشتها "إذا لم يتم وقف الإرهابيين عند الحدود، فيجب ألا تكون مكافحة الإرهاب، وكذلك السلطات الأمنية الأوروبية، متشابكة بشكل أسوأ من الجناة".